وقف مركز مكة العالمي للهدى القرآني
جمعية القلم للدراسات والأبحاث
مؤتمر
هدايات القرآن في بناء الإنسان

عنوان البحث:

الفضائل الخلقية في القرآن الكريم وأثرها في هداية الفرد والمجتمع

اسم الباحث/ـة

د/ جيهان نور الدين محمد المقدم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي أسبغ على الإنسان نعمه ظاهرة وباطنة، الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، وجعله رحمة مهداة للعالمين، فكان رءوفاً رحيمًا حريصًا على هدايتهم، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وقد جاء في وصفه تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [سورة القَلَم : ٤]

اللهم صلي وسلم علي سيدنا محمد خاتم الأنبياء وإمام المرسلين، وصلي وسلم على سائر الأنبياء والمرسلين الذين امتازوا بالفضائل الأخلاقية القرآنية، فكانوا أئمة يقتدى بهم ويهتدى بهديهم، وبعد:

فهذا بحث موجز **بعنوان:**(**الفضائل الخلقية في القرآن الكريم وأثرها في هداية الفرد والمجتمع**)، أقدمه للقراء لعله يعيد إلى الأذهان أهمية تلك الفضائل الخلقية المستمدة من القرآن الكريم والتي لها من الأثر الواضح في هداية الفرد والمجتمع.

لقد تحدث القرآن الكريم عن الفضائل ومكارم الأخلاق، فصار رائداً لكل مسلم يريد أن يتحلى بالفضائل ويتخلى عن الرذائل، ولعل هذا مما أشار إليه عز وجل في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩﴾ [سورة الإسْرَاء : ٩]،

وكذلك قوله تعالى: (﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢﴾ [سورة الشُّورَى : ٥٢] .وأيضاً كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة في فضائل الأخلاق؛ لأن الله تعالى صنعه على عينه، وأنه صلوات الله وسلامه عليه تحقق فيه الكمال الأخلاقي؛ لأنه اهتدى بهدي

القرآن الكريم، وتحلى بأخلاقه، ملتزماً ومتمسكاً بآدابه وما يشتمل عليه من المكارم والفضائل، مبتعداً ومتخلياً عن الرذائل، فكان صلى الله عليه وسلم بحق قرآناً يمشي على الأرض.

لقد أوجد الإسلام نظاماً شاملاً متكاملاً بالأخلاق ويؤكد عليها، وذلك من خلال دعوته إلى الحق والسعادة، ويشمل ذلك كل الفضائل الخلقية التي لا يكتمل صلاح الفرد والمجتمع إلا بها، ومن بين تلك الفضائل الحكمة، والشجاعة، والعفة، والعدل، والصبر، والصدق، وغير ذلك من تلك الفضائل. لذا وضع الإسلام نظاماً أخلاقياً جامعاً بين الروحية والمادية، فنجده يهتم بالروح ومتطلباتها، وأيضا يهتم بالجانب المادي الذي لا يستغني عنه قوام حياة الإنسان.

ولأهمية الموضوع أمران:

١. الأخلاق في الإسلام ليست مجرد ألفاظ أو شعارات ترفع، بل هي عادة أو سجية في النفس الإنسانية، والقرآن الكريم اشتمل على الكثير من الفضائل الخلقية التي يجب أن يتحلى بها الفرد بل والمجتمع باعتبارها قيمة كبيرة في الإسلام، فهي ضرورة إنسانية في حياة الإنسان الدنيوية، فضلا عما يترتب عليه من أمور فيما بعد في الحياة الأخروية من ثواب وعقاب.

٢. دراسة الفضائل الخلقية في القرآن الكريم وبيان أثارها على حياة الفرد والمجتمع، فإنها ليست مجرد دراسات نظرية منفصلة عن حياة الناس، وإنما هي دراسات مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بحياتهم، بل وممتزجة بقيمهم وسلوكهم امتزاجاً لا ينفك، وخاصة بعد التقدم العلمي والتكنولوجي الهائل في العصر الحديث واطلاع الكثير من الشباب على سلوكيات الغرب، ووجود التردي الأخلاقي

في بعض المجتمعات الإسلامية؛ فكان لزاماً إحياء تلك الفضائل الخلقية التي لا غنى عنها في كل زمان ومكان، ومن أجل ذلك تستحق الفضائل الخلقية في القرآن الكريم وقفة، بل وقفات، ليتأملها الجميع، ويوقن أن تلك الفضائل الأخلاقية شغلت اهتمام الإنسان منذ فجر التاريخ، ومازالت تشغله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وأهدف من هذا البحث:

التعريف بالفضائل الخلقية في القرآن الكريم، لما لها من الأثر العظيم في الإسلام، فهي لا تقتصر على الفرد بل تتعداه إلى المجتمع، وبالتالي فهي ضرورة إنسانية للجميع، والمجتمع لا يكون صالحاً إلا بانتشار مبادئ الخير والفضيلة.

منهج البحث: قد اتبعت في هذا البحث المنهج التكاملي، الذي يعتمد على تقديم المعلومات متكاملة، ويزيل الحواجز التي تفصل بين جوانب المعرفة.

هذا وقد اتبعت في هذا البحث ما يلي:

١. . تحدثت عن تعريف الأخلاق والفضائل لغة واصطلاحا، والفضائل الخلقية بين الاختلاف والشمول.

٢. وبما أن الفضائل الخلقية كثيرة ومتنوعة لا يستطيع بحث واحد أي يقوم بحصرها جميعا؛ لذا اخترت بعض نماذج من تلك الفضائل الخلقية: كالحكمة، والشجاعة، والعفة، والعدل،وحاولت استعراض حديث القرآن الكريم في كل خلق، أو ما وجد في السنة النبوية المطهرة، أو ما كتبه أعلام الإسلام الذين تحدثوا عن الفضائل الخلقية.

هذا، وأدعو الله عز وجل أن يكون منهج البحث مقبولاً، وأن يحقق ما نبتغي إليه جميعاً من ربط المسلمين وأبنائهم من اتباع هدي القرآن الكريم في التحلي بتلك الفضائل الخلقية.

وأما المحتوى: فهذه الدراسة تتكون من مقدمة، وخمسة مباحث، وخاتمة.

في المقدمة: تناولت أهمية الموضوع، ومنهج البحث، وخطته.

المبحث الأول: فهو بعنوان: التعريف بالمصطلحات وفائدة دراسة الفضائل الخلقية.

المبحث الثاني: أقسام علم الأخلاق.

المبحث الثالث: الفضائل الخلقية بين الاختلاف والشمول.

المبحث الرابع: أقسام الفضائل الخلقية ونماذج منها.

المبحث الخامس: أثر الفضائل الخلقية في هداية الفرد والمجتمع.

الخاتمة: فيها أهم نتائج البحث والتوصيات.

وأخيراً ثبت لأهم المصادر والمراجع، وآخر للموضوعات.

وبعد: فهذا ما وفقني الله تعالى إليه، وإذ أتقدم بهذا البحث فإني أسأل الله تعالى التوفيق في القول والعمل، وأن يجنبني الزلل، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم إلى يوم الدين.

والله المستعان

المبحث الأول: التعريف بالمصطلحات

وفائدة دراسة الفضائل الخلقية

نالت الأخلاق قديماً وحديثاً اهتماماً كبيراً من المفكرين والفلاسفة، ومن خلالها أخذوا في البحث عن الحلول المناسبة للمشكلة الخلقية.

لذا كانت الحاجة ماسة إلى البحوث الأخلاقية لمعالجة تلك المشكلات، وفي الوقت الذي يبدأ فيه الناس التشكيك في الأخلاق السائدة، لقد ظهر عبر التاريخ قديما ولا زال أيضاً ظهور أخلاق متباينة ومختلفة يناقض بعضها بعضاً، وكل منها تدعي لنفسها الصلاحية المطلقة، وهذا بدوره يمكن أن يقود إلى فكرة نسبية القيم، ولكن بالرجوع إلى ما جاء به الإسلام نجد رفضه تماماً لنسبية القيم والأخلاق، حيث إنه قد وضح الأسس التي تقوم عليها المطالب الخلقية.وفي عصرنا الحاضر تسود موجات من التشكيك فيما يتعلق بالمسائل الأخلاقية؛ وذلك نتيجة للثورة العقلية، ونتيجة للمجتمعات المعاصرة التي تسود فيها مجموعة كبيرة من المذاهب والاتجاهات العقلية التي يناقض بعضها بعضا، مما كان له أثره الواضح في ظهور بعض النظـــريات التي يدعو أصحابها إلى وجود " أخلاقيات بلا إلزام ولا جزاء"(١).ولكن نجد أن الإسلام بتعاليمه الأخلاقية الفاضلة، قد وضع الحلول المثلى لذلك، وسيتبين ذلك من خلال هذا البحث، **ولكن ينبغي أولا التعريف بعلم الأخلاق:**

أولاً: تعريف علم الأخلاق:

عرفت الأخلاق بتعريفات عدة، وعلى هذا لا يمكن حصر تلك التعريفات في تعريف معين؛ وذلك لأن أغلب التعريفات تتقارب في المعنى،

(١) الأخلاق وحقوق الإنسان. د/ سيد فرج عبد الحليم.ص٤٥، كلية أصول دين بالقاهرة.

بالرغم من أنها تختلف كثيراً من حيث اللفظ.

لذا يمكن القول إن علم الأخلاق علم معياري يهتم بوضع أسس وقواعد عامة يجب أن يقاس بمقتضاها سلوك الفرد، يدرس ما ينبغي أن يكون عليه السلوك الإنساني؛ لذا تعددت التعريفات لهذا العلم، وتقاربت في المعنى بالرغم من أنها تختلف كثيراً من حيث اللفظ، ومن أهم تلك التعريفات ما يلي:

الأخلاق لغة: جمع خلق، ويطلق الخلق على "العادة والسجية والمروءة والطبع والدين" [١].

وجاء في لسان العرب لابن منظور بأن الخلق هو: " اشتقاق خليق وما أخلقه من الخلاقة، وهي التمرين، ومن ذلك تقول للذي ألف شيئاً:

صار ذلك له خلقاً أي مرن عليه، ومن ذلك الخلق الحسن" [٢].

الأخلاق اصطلاحاً: اختلف علماء الأخلاق والمفكرون حول التعريف الاصطلاحي، تبعا لاختلاف مذاهبهم الأخلاقية، **ومنها:**

عرف الإمام الغزالي الخلق بأنه: " عبارة عن هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر، من غير حاجة إلى فكر وروية " [٣].

وقد عرفه الجرجاني بأنه: " ملكة تصدر عن النفس الأفعال بسهولة ويسر من غير تقدم فكر وروية وتكليف " [٤].

---

[١] القاموس المحيط. مجد الدين الفيروز آبادي. ج٣/٢٢٩باب القاف، ط/ دار المعارف سنة١٣٥٧هـ.

(٢) لسان العرب لابن منظور، مادة خلق. ج١/٨٦، ط/ دار صادر بيروت.

(٣) إحياء علوم الدين. للإمام/ أبو حامد الغزالي. ج١/٦٩، الناشر/ دار زاهد القدسي. بدون.

(٤) التعريفات. للجرجاني، تحقيق/ محمد صديق المنشاوي مادة: خلق. ص٨٩، الناشر/ دار الفضيلة. بدون.

والأخلاق هي: " مجموع قواعد السلوك الثابتة التي تصلح لكل زمان ومكان، ويسمى العلم الذي يبحث فيه بفلسفة الأخلاق"(١).

وبهذا المعنى يكون علم الأخلاق بالمعنى الفلسفي علم معياري، إذ أنه لا يبحث في حياة الناس الراهنة، أي بما هي كائنة بالفعل، بل بما يجب أن تكون.

وعرفت الأخلاق أيضاً بأنها: " علم يوضح معنى الخير والشر، ويبين ما ينبغي أن تكون عليه معاملة الناس بعضهم بعضا ويشرح الغاية التي ينبغي أن يقصدها الناس في أعمالهم وينير السبيل لعمل ما ينبغي"(٢).

وبهذا يكون هدف علم الأخلاق بيان معنى الخير والشر، وتوضيح الطريق الأفضل والأوضح لبناء العلاقة السليمة بين جميع الناس.

وهكذا تختلف الآراء في تحديد مفهوم هذا العلم، وينبع اختلافهم هذا تبعا لاختلاف تصوراتهم،

وقد عرف علماء الأخلاق هذا العلم بتعريف جامع مانع فقالوا إن علم الأخلاق هو: " العلم بالفضائل وكيفية اقتنائها ليتحلى بها الإنسان والعلم بالرذائل وكيفية توقيها ليتخلى عنها والإلمام بقواعد السلوك الإنساني وبالمقياس الذي تقاس به أعمال الإنسان الإرادية فيحكم عليها بأنها خير أو شر مع تحديد الجزاء لكل منها "(٣).

---

(١) مباحث في فلسفة الأخلاق. د/ محمد يوسف موسى. ص٣، كلية أصول دين بالقاهرة، مطبعة الأزهر سنة١٩٤٣م، وراجع: المجمل في تاريخ علم الأخلاق: سدجويك. ترجمة وتعليق/ توفيق الطويل، وعبد الحميد حمدي. ج١/١٠، الناشر/ دار الثقافة للنشر بالإسكندرية سنة١٩٤٩م.

(٢) المعجم الفلسفي. جميل صليبا ص٥٧، دار الكتاب اللبناني. بيروت ط سنة١٩٨٢م.

(٣) العقيدة والأخلاق وأثرهما في حياة الفرد والمجتمع. د/ محمد بيصار ص١٩٧، الناشر/ دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر ط١ سنة١٩٧٣.

ثانياً: تعريف الفضائل: الفضائل جمع فضيلة، والفضيلة هي الخلق الطيب، وقد تطلق الفضيلة على العمل نفسه فيقال: فضائل الأعمال، وليس يعني بهذا كل عمل أخلاقي، بل الأعمال العظيمة التي يستحق فاعلها الثناء الجزيل(١).

عرفت الفضيلة في اللغة بأنها: " الدرجة الرفيعة في حسن الخلق، أو الدرجة الرفيعة في الفضل"(٢)، والفضيلة من حيث مدلولها اللفظي، تعني: الفضل والزيادة، وهي ضد الرذيلة والنقيصة.

الفضيلة اصطلاحاً هي: الاستعداد الدائم لفعل الخير، وفي معجم" لالاند": الفضيلة هي: " الاستعداد الراسخ لإنجاز نوع معين من الأفعال الأخلاقية، أو الاستعداد الراسخ لإرادة الخير" (٣).

وقد عرف ابن حزم الفضيلة بأنها: "نوع من التوسط بين مرذولين" (٤)، فمثلا: الكرم فضيلة بين مرذولين هما البخل والاسراف، وكذا الشجاعة فضيلة بين مرذولين هما الجبن والتهور، وهكذا باقي الفضائل.

مما تقدم من تعريفات الفضيلة يتضح لنا: أن الفضيلة ضابط للإنسان يجعله وسطاً في أخلاقه وسلوكه مع نفسه ومع جميع أفراد المجتمع.

فائدة دراسة الفضائل الخلقية: دراسة الفضائل الخلقية أو علم الأخلاق بصفة عامة له أهمية كبيرة، تكمن في ترشيد السلوك الإنساني وتوجيهه نحو القيم

---

(١) الأخلاق. أحمد أمين ص١٩١، الناشر/ دار الكتاب العربي بيروت. لبنان. بدون.

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز. الفيروز آبادي. ج٤/١٩٦، الناشر/ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. لجنة إحياء التراث الإسلامي بالقاهرة. بدون.

(٣) المعجم الوجيز. مادة فضل ص٤٧٥، الناشر/ مجمع اللغة العربية سنة١٩٨٩م، وراجع: الأخلاق. أحمد أمين ص١٩١.

(٤) الأخلاق والسير في مداواة النفوس لابن حزم الأندلسي ص٢٣، الناشر/ دار الآفاق الجديدة. بيروت ط٢ سنة١٣٩٩هـ١٩٧٩م.

الخلقية والمثل العليا على أساس من الفهم والإدراك، ولو لم تكن لتلك الفضائل فائدة لما وجدنا القرآن الكريم يتحدث عنها قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٥﴾[الذاريات: ٥٥]

فالدراسات الأخلاقية تقوى إرادة الإنسان على الخير وإتباع الطريق القويم، وتنشط العزيمة على المضي في سبيل الفضيلة والاهتداء بها في أعمالها(١).

لذا تعد دراسة الفضائل الخلقية في القرآن الكريم ذا أهمية بالغة، وخاصة في عصرنا الحاضر، ويقول د/ زقزوق: " أن هذا العصر تسود فيه موجات عارمة من التشكيك فيما يتعلق بالمسائل الأخلاقية، وذلك نتيجة للثورة العقلية منذ ما يزيد على مائة عام، ونتيجة للمجتمعات المعاصرة التي تسود فيها مجموعة كبيرة من المذاهب والاتجاهات العقلية المختلفة التي يناقض بعضها بعضا، الأمر الذي كان له أثره في ظهور بعض النظريات الحديثة التي يدعو أصحابها إل أخلاقية بلا إلزام ولا جزاء" (٢).ونعلم جيداً أن الإلزام يرتكز عليه كل نظام أخلاقي؛ ولأنه إذا غاب الإلزام غابت المسئولية ومن ثم غابت العدالة، وأدى ذلك إلى انتشار الفوضى والإباحية وفسد كل نظام يدعو إلى وجود قيم وفضائل أخلاقية.

الغاية من التزام فضائل الأخلاق:

الغاية من التزام فضائل الأخلاق والابتعاد عن رذائلها، **يكون على عنصرين:**

العنصر الأول: اكتساب رضا الله عز وجل الذي يجازي على الحسنة بأضعافها، ويجازي على السيئة بمثلها، ومن استطاع اكتساب مرضاة الله تعالى

(١) انظر: مباحث في فلسفة الأخلاق. د/ محمد يوسف موسى ص١٥، الناشر/ دار القلم للطباعة والنشر سنة بيروت. لبنان سنة٢٠٢٠م.

(٢) مقدمة في علم الأخلاق. د/ محمود حمدي زقزوق ص١٥، مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع بالقاهرة ط١ سنة١٤٣٩هـ٢٠١٨م.

بعمله الصالح، وأيضا التزام مكارم الأخلاق التي أمر بها الإسلام أو رغب بفعلها، واجتناب نقائص الأخلاق التي نهى عنها الإسلام أو رغب بتركها، فقد فاز وسعد في الدارين الدنيا والأخرة.

العنصر الثاني: تحقيق الكثير من السعادة المستطاعة التحقيق في ظروف الحياة الدنيا، وهي أنواع السعادة التي تمنحها سنن الله تعالى في كونه والشاملة لجميع خلقه، والالتزام بالهدي القرآني وما حثنا عليه من الفضائل الخلقية كفيل بتحقيق أكبر نسبة من هذه السعادة للفرد الإنساني وللمجتمعات الإنسانية(١).

فمن الواضح في هذا الوجه أن أسس الأخلاق الإسلامية لم تهمل ابتغاء سعادة الفرد الذي يمارس فضائل الأخلاق ويجتنب رذائلها، ولم تهمل ابتغاء سعادة الجماعة التي تتعامل فيما بينها بفضائل الأخلاق مبتعدة عن رذائلها.

السبب الذي نكتسب به حسن الخلق:

لا شك أن حسن الخلق يرجع إلى كمال الحكمة وقوة العقل، وإلى اعتدال قوة الغضب والشهوة، وكونها للعقل مطيعة وللشرع أيضا، وهذا الاعتدال يحصل على وجهين:

الوجه الأول: بجود إلهي وكمال فطري، بحيث يخلق الإنسان ويولد كامل العقل، حسن الخلق قد كفى سلطان الشهوة والغضب، فيصير عالماً بغير تعلم، ومؤدبا بغير تأديب كعيسى بن مريم، ويحيى ابن زكريا عليهما السلام، وكذا سائر الأنبياء.

والآخر: اكتساب هذه الأخلاق بالمجاهدة والرياضة، وذلك عن طريق حمل النفس على الأعمال التي يتطلبها الخلق المطلوب، فمن أراد مثلا أن يحصل

(١) المرجع السابق.ص٨٩.

لنفسه خلق الجود، فطريقه أن يمرن نفسه على فعل الجود وهو بذل المال، ولن ترسخ الأخلاق الدينية في النفس، مالم تتعود النفس جميع العادات الحسنة وما لم تترك جميع الأفعال السيئة، وما لم تواظب عليها مواظبة من يشتاق إلى الأفعال الجميلة ويتنعم بها، ويكره الأفعال القبيحة ويتألم بها [1].

إذن الفضيلة هي معيار تقدم الأمم والشعوب، وأساس الحكم علي رقي تلك الشعوب ونهضتها، فإذا انتشرت الفضيلة وإيثار الخير والأخلاق الفاضلة في أمة، استطاعت تلك الأمة بناء ذاتها وتقدمت، أما إذا سادت الرذيلة والأخلاق السيئة في أمة، أدى ذلك إلى تدميرها وضعفها، وتاريخ الأمم شاهد على ذلك، وقد وصف الله تعالى أمة الإسلامية بأنها خير أمة لاتصافها بالأخلاق الفاضلة، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عِمْرَان: ١١٠]

(١) راجع: إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين. للزبيدي ج١ / ٢٠، ط دار الكتب العلمية بيروت. لبنان ط١ سنة ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.

المبحث الثاني:أقسـام علـم الأخـلاق

أولاً: أقسام علم الأخلاق: ينقسم علم الأخلاق إلى قسمين:

الأول: علـم الأخـلاق النظريـة: يختص الجانب النظري من علم الأخلاق بالبحث عن القواعد والقوانين التي يجب أن يتبعها الإنسان في سلوكه، وغايته هو حصول الاعتقاد اليقيني بهذه القواعد، والأخلاق النظرية هي التي تدرس الضمير، والخير والشر والحرية والإرادة، والفضيلة وماهيتها، والحق والواجب والنية والقصد والاختيار والمعايير والقيم(١) .

أما الآخر فهو: علم الأخلاق العملية: فهو يختص بالتطبيق العملي، أي الرقابة على تطبيق القواعد النظرية على السلوك، وممارسته في الحياة الواقعية للإنسان، فتبين وتدرس الواجبات المختلفة: واجب الإنسان نحو نفسه، وربه، ونحو عائلته ونحو الوطن والإنسانية، وبعبارة أخرى فهو يبحث في تنظيم الإنسان وتصرفاته وأعماله وأخلاقه وسلوكه، لا ليعرف خطأها أو صوابها فقط، بل يطبق الصواب منها في ميدان العمل حتى تكون متفقة مع القواعد والمعايير التي يحتوي عليها الجانب النظري، وهي تكون محققة للفضائل والقيم التي رغب فيها علم الأخلاق(٢).

والعلاقة بين الأخلاق النظرية والعملية ليست علاقة تعارض وتنافي، بل هي علاقة تكامل وتداخل.

---

(١) فلسفة الأخلاق في الإسلام. محمد جواد مغنية. ص١٣، الناشر/دار العلم. بيروت سنة١٩٧٧م، العقيدة والأخلاق. د/ محمد بيصار ص١٩٩.

(٢) دراسات إسلامية. د/ محمد عبد الله دراز.ص١٠٢، ط٢سنة١٩٧٤م، انظر: تأملات في فلسفة الأخلاق. منصور رجب ص٢٦، مطبعة مخيمر بالقاهرة ط١ سنة ١٩٥٣م.

ارتباط الأخلاق بالمسؤولية: لقد اعتنى الإسلام عناية فائقة بالإعداد الخلقي للإنسان وجعله هدفاً أساسياً من أهدافه التي يسعى إليها، فحمل الإنسان مسئولية أفعاله، وربط الإسلام بين القيم الخلقية والمسئولية برباط وثيق، يثير في نفوس المؤمنين شدة الخوف من كل خروج عن أحكام الفضائل الخلقية التي أمر الله تعالى بها(١).

فعندما دعا القرآن الكريم إلى التحلي بمكارم الأخلاق، أعلمنا سبحانه أنه هو الذي سيحاسب الإنسان عما يصدر عنه من أعمال، كما في قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [الحِجْر: ٩٢].

وهذه الفضائل الأخلاقية لا يرقى الإنسان في اكتسابها إلا بأمرين، أولهما: محاسبة النفس ومراقبتها من حين لآخر في أي فضيلة ارتقت وفي أيهما ضعفت، والآخر: الإرادة المسيطرة على النفس الإنسانية حتى تستقيم حركتها وتعود إلى صلاحها وكمالها.

وقد أكد القرآن الكريم أن الإنسان لا يتحمل مسئولية غيره، قال تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ [فُصِّلَت: ٤٦]، وإذا كان الإنسان في الإسلام مسئولا عما اكتسب من الأفعال، فقد حدد الشرع طبيعة وشروط تلك المسئولية الخلقية لتحقيق العدالة.

ثانياً: شروط المسئولية الخلقية: يوجد في القرآن الكريم والأحاديث النبوية ما يشجع على فعل الخير، وهذه الشروط يمكن حصرها كالتالي:

١- **الإيمان بالله تعالى وإتباع سنة رسوله صلى الله عليه وسلم،** فالإيمان بالله تعالى هو العروة الوثقى، قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾﴾ [المَائِدَة: ٥]

(١) حقوق الإنسان في الإسلام. د/ عبد الواحد الفار ص١٣٢،

وفي إتباع خير المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فقد أثنى عليه القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القَلَم: ٤]، وقد لخص النبي دعوته ورسالته صلى الله عليه وسلم بقوله: ((إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)) [١].فالإيمان بالله تعالى والعمل الصالح هما أساس الإيمان، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ۝١٢٤﴾ [النِّسَاء: ١٢٤].

وقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك: قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إن ابن جدعان في الجاهلية كان يقري الضيف ويحسن الجوار ويصل الرحم. هل ينفعه؟ قال: ((لا؛ لأن لم يقل يوما قط: اللهم اغفر لي خطيئتي يوم الدين))[٢]، يقول ابن حزم الأندلسي: " فالسبيل الموصل إلى الحق هو التوجه إلى الله تعالى، والعمل الصالح للآخرة، ليتحقق برحمته سبحانه الفوز بالجنة ونعيمها " [٣].

٢-**حرية الاختيار**: ومعنى ذلك أن الإنسان حر مختار فيما يفعل وفيما لا يفعل، وذلك لا يتنافى مع الحرية في الإسلام.

فالله تعالى خلق الإنسان وجعل له إرادة بها يختار بين البدائل المختلفة، ولعل أعظم هذه البدائل: الإيمان أو الكفر، قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ﴾ [الكَهْف : ٢٩]، وهو سبحانه عندما جعل الإنسان حراً ومسؤولا منحه القدرة التي تمكنه من تنفيذ اختياراته،

---

(١) الحديث أخرجه: البخاري في الأدب المفرد برقم (٢٧٣)، وأحمد في المسند برقم (٨٩٣٩)، والراوي: أبو هريرة، والمحدث الألباني في صحيح الجامع برقم(٢٨٣٣).

(٢) الحديث أخرجه: ابن حبان في صحيحه برقم (٣٣٠)، والراوي: عائشة أم المؤمنين.

(٣) الأخلاق والسير في مداواة النفوس. ص٩٠.

فغير القادر لا يكون مسؤولا[1].

٣-**النية**: نجد أن النية الحسنة لازمة للفعل الأخلاقي، باعتبار أن النية مناط المسؤولية الخلقية في الإسلام، وإخلاص النية في الفعل الإنساني يشكل جوهر الفضيلة، حيث إن الفضائل الأخلاقية لا بد أن يتخللها النية الحسنة مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البَيِّنَة: ٥]

هذا وقد عرف الإمام الغزالي النية الحسنة بالمعنى الرفيع للكلمة، وقد ذكر بعد ذلك البعض من هؤلاء الذين يدفعهم إلى الطاعة الخوف من العقاب، أو إغراء الثواب؛ فيقول: " الحقيقة ألا يراد بالعمل إلا وجه الله تعالى، وهو إشارة إلى إخلاص الصديقين، وهو الإخلاص المطلق، فأما من يعمل لرجاء جنة، وخوف النار فهو مخلص، بالإضافة إلى الحظوظ العاجلة، وإلا فهو في طلب حفظ البطن والفرج، وإنما المطلوب لذوي الألباب وجه الله فقط" [2].

وكلما كان الأمر يتعلق بمقارنة عمل القلب وحركة البدن، فلا شك في أن الأخلاق الإسلامية تغلب الواقع القلبي على تعبيره الحسي،

هذا وقد ذكر القرآن الكريم ذلك في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢﴾ [البَقَرَة : ٦٢]،

وقوله تعالى: (﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢١٨﴾ [البَقَرَة : ٢١٨]، وغير ذلك الكثير من الآيات القرآنية التي تحض على الجمع بين العاملين: النية الحسنة والعمل معا، فلم نجد

(١) انظر: روح المعاني للألوسي. تعليق/ محمد أحمد الأمد، عمر عبد السلام السلامي ج٢٩/٤٠٣، الناشر/ دار إحياء التراث العربي. بيروت. لبنان ط١ سنة١٤٢١هـ٢٠٠٠م.

(٢) دستور الأخلاق في القرآن. د/ محمد عبد الله دراز. تحقيق. د/ عبد الصبور شاهين ص٣٣٢، الناشر/ مؤسسة الرسالة. بيروت. لبنان ط سنة١٩٧٧م.

في القرآن الكريم مطلقاً عملاً حسناً لا يستمد منبعه من أعماق النفس، قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٣﴾ [الحُجُرَات: ٣].

بجانب الآيات القرآنية السابقة، نجد أيضا ما جاء في الحديث الصحيح الذي قال الرسول صلى الله عليه وسلم فيه: "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كان هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كان هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه" (١).

فالأعمال تحدد قيمتها الحقيقية بقيمة النيات الباعثة عليها،

أما الأعمال المادية فلا قيمة لها وحدها، والله تعالى لا يضيع مثقال ذرة من عمل يبتغى به وجهه تعالى.

(١) الحديث أخرجه: البخاري في صحيحه برقم (٥٤)، ومسلم برقم (١٩٠٧) والراوي: عمر بن الخطاب.

المبحث الثـالث: الفضائل الخلقية ب

ين الاختلاف والشمول

أولاً: اختلاف الفضائل الخلقية:

تختلف قيمة الفضائل الخلقية في الأمم اختلافاً كبيراً، ويذكر الأستاذ أحمد أمين صاحب كتاب الأخلاق ذلك الاختلاف قائلاً: أنا لو وضعنا لأمة قائمة تتضمن الفضائل مرتبة حسب أهميتها لها، لوجدناها تخالف ما يجب أن يوضع لأمة أخرى؛ ذلك لأن ترتيب الفضائل تبعاً لأهميتها وظروفها، وما يوجد فيها من أمراض خلقية وغير ذلك، تختلف من أمة إلى أمة ومن عصر إلى عصر، فما كان يفهم من فضيلة الشجاعة لدى اليونان غير ما يفهم في العصور الحديثة، فقد كانوا لا يفهمون منها إلا الصبر على تحمل الآلام الجسمانية، وقد تطورت أيضا فضيلة العدل كثيراً، حسب تطور الأمم في حالتها العقلية والاجتماعية، وهكذا الشأن في الكثير من الفضائل، حيث قد هذبها رقي العقل وتقدم المدنية[١].

كذلك تختلف قيمة الفضائل باختلاف حالة الأفراد وأعمالهم، فمثلا: فضيلة الكرم بالنسبة للفقير ليست من الأهمية بالدرجة التي لها بالنسبة للغني، ولا الفضائل التي يلزم أن يتصف بها المسن هي بعينها الفضائل التي يتصف بها الشاب وهكذا،

ومن هنا يرى الأستاذ أحمد أمين: أنه من الصعب على الأخلاقي التعمق في التفصيلات، وبيان الاختلافات البسيطة بين الأفراد التي يترتب عليها اختلاف في قيمة الفضائل [٢].

---

(١) الأخلاق. أحمد أمين ص١٩٢.

(٢) المرجع السابق ص١٩٣.

ومن هنا نستطيع القول بأنه على اختلاف الأفراد والمجتمعات في كل زمان ومكان في أولوية قيمة الفضائل لديهم بما يناسب أحوالهم وأعمالهم، إلا أنهم جميعا مطالبون بفضائل عامة وشاملة من صدق وعدل ورحمة، وغير ذلك الكثير والكثير من الفضائل التي يجب أن يتصفوا بها، فالأخلاق مفهومها واحد عام وشامل لا تتغير، وإنما احتياج الفرد والمجتمع لاكتساب الفضائل التي يحتاج إليها بما يناسب حالته.

ثانياً: شمول الفضائل الخلقية:

الفضائل الأخلاقية في الإسلام هي فضائل شاملة لكل قطاع من القطاعات الاجتماعية والإنسانية المختلفة.

ومن الأخلاق التي تتناول جانب السلوك الاجتماعي: الصدق، والأمانة، والشجاعة، والعفو، والتواضع، ونحو ذلك.

وقد بلغت الأخلاق الاجتماعية في الإسلام مبلغاً من الرقي العظيم، حيث اشتملت على كل ما يمكن أن يقوي الروابط الاجتماعية وتنمية روابط المودة والإخاء بين جميع أفراد المجتمع.

وتتلخص الأخلاق الاجتماعية في أن معاملة الإنسان مع الآخرين بما يحب أن يعاملوه به، إذا أحب أن يكونوا معه صادقين فليلتزم بالصدق، وإذا أراد أن يعاملوه بالعفو والأمانة فيكن هو كذلك وهكذا.

وقد وضح النبي صلى الله عليه وسلم هذه القاعدة الأخلاقية الاجتماعية، فقال: "فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة، فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس بالذي يحب أن يؤتى إليه" (١).

---

(١) الحديث أخرجه: مسلم في صحيحه، والراوي عبد الله بن عمرو برقم (٦٦)، والنسائي في صحيحه برقم (٤٢٠٢).

أيضا تشتمل فضائل الأخلاق على كل القطاعات الإنسانية: للفكر أخلاق، وللاعتقاد أخلاق، وللنفس أخلاق، وللسلوك أخلاق، **وسنبين ذلك فيما يلي:**

١. أما فضائل أخلاق الفكر، فتكون في البحث عن الحقائق والالتزام بها، والصبر وتحمل مشاق التفكر والتدبر، والاشتغال بكل ما هو صالح مفيد، ونسيان الأحقاد والضغائن المثيرة للغضب وتذكر الألم النفسي، وعير ذلك الكثير من فضائل الأخلاق.

ويقابل هذه الفضائل من فضائل أخلاق الفكر نقائص ورذائل يجب عل الإنسان توقيها؛ ليظفر بالارتقاء في سلم الكمال الخلقي في مجال الفكر الأخلاقي.

٢. ومن الفضائل الخلقية للاعتقاد: ألا يسمح لنفسه بأن يستمع لنفسه من ظنون وأوهام ضعيفة، فيحلها محل عقائده السليمة الثابتة، ولا يجعل كذلك عقيدته فريسة للتقليد الأعمى الغير مبني على أدلة صحيحة وراسخة؛ حتى لا يقع فريسة لما تمليه الأهواء والشهوات.

ويقابل تلك الفضائل من فضائل الاعتقاد الخلقية نقائص ورذائل يجب على الإنسان أن يتجنبها، ليظفر بالارتقاء في سلم الكمال الخلقي .

٣. ومن الفضائل الخلقية للنفس: الصبر، والعفو، ومجانبة الحسد، والبعد عن صغائر الأمور، وجود النفس وتسامحها، والعفو عن المسيء، وغير ذلك الكثير من فضائل أخلاق النفس.

٤. أما فضائل السلوك الخلقية الظاهرة فكثيرة، وهي في حقيقتها ترجمة لما داخل النفس الإنسانية من أخلاق، وصور السلوك الأخلاقي الحميد كثيرة

منها: الصبر على المصائب، والنظام والإتقان في العمل، وغير ذلك الكثير من الفضائل الخلقية للسلوك.

ويقابل ذلك الرذائل الخلقية الذميمة مثل الكذب، والخيانة، والظلم، وعدم أداء الواجب، وغير ذلك الكثير من صور السلوك الخلقي الذميم، والتي يجب على الإنسان توقيها والبعد عنها(١).

وبهذا يتضح للجميع شمول الفضائل الأخلاقية في الإسلام لكل جانب من جوانب الإنسان.

(١) السلوك هو: أعمال الإنسان الإرادية المتجهة نحو غاية معينة مقصودة، فالسلوك هو صورة فعل الإنسان الظاهرة، والأخلاق هي الصورة الباطنة، فالعلاقة بين السلوك والأخلاق هي علاقة الدال بالمدلول، ولكن ليس ذلك على الدوام؛ لأن الأمر قد يتوقف مع ذلك على الظروف التي تحيط بالإنسان وتؤثر فيه. للمزيد راجع: تأملات في فلسفة الأخلاق. منصور علي رجب ص١٨٠وما بعدها.

المبحث الرابع: أقسام الفضائل الخلقية ونماذج منها

تمهيد:

الفضائل الأخلاقية هي تلك الفضائل الإنسانية الخلقية المميزة التي يمتلكها بعض البشر، وتستحق الذكر والإعجاب، وهذه الفضائل تضمن التعايش السلمي والصحي للمجتمع الإنساني.

لذا نجد أن القرآن الكريم قد تعرض لأصول الأخلاق التي يريد لعباده أن يتحلوا بها، ولذلك هدف حديث القرآن الكريم عن الأخلاق إلى غاية سامية جليلة، هي أن يكون المسلم المتخلق بالفضائل الخلقية صالحاً لتلقي الإشراقات الروحية، ويسمو بنفسه فوق حسه، ويستجيب لعقله أكثر مما يستجيب لعاطفته، ويحسن الوفاق بين لبه وقلبه، ولديه من الحصانة مما يجعله يبتعد عن الخطيئة والإثم(١).

وبما أن القرآن الكريم هو كتاب الله المعجز فليس من شأنه أن يتحدث عن كل صغيرة وكبيرة في الأخلاق، وإنما هو يضع أمام المؤمن علامات الطريق، ويترك لنظره وتدبره حسن الاستنباط،

ومن هنا جاءت آيات الذكر الحكيم قصيرات بألفاظها، واسعات مفاهيمها ومدلولاتها، مثل قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأَعْرَاف : ١٩٩]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وإيتاءين ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النَّحْل: ٩٠]، وبهذا جمع الهدي القرآني بين الإيجاز وسعة البيان.

---

(١) موسوعة أخلاق القرآن. د/ أحمد الشرباصي مقدمة الكتاب، الناشر/ دار الرائد العربي. بيروت. لبنان ط١ سنة١٤٠١هـ ١٩٨١ م.

ولقد اهتدى علماء الأخلاق بهذا الهدي القرآني، فمنهم من فصل الحديث عن كل خلق من مكارم الأخلاق، بل قسم الخلق الواحد إلى عدة أخلاق.

فقد ذكر ابن مسكويه، والغزالي أن أصول الفضائل أربع، وفي ذلك يقول ابن مسكويه: " أجمع الحكماء أن أجناس الفضائل أربع، وهي: الحكمة والعفة والشجاعة والعدالة، ولهذا لا يفتخر أحد ولا يتباهى إلا بهذه الفضائل فقط، فأما من افتخر بآبائه وأسلافه فلأنهم كانوا على بعض هذه الفضائل أو عليها كلها " [(١)]، ويؤكد ابن مسكويه على العدالة، لا بوصفها جزءاً من الفضيلة العامة، بل يعتبرها الفضائل كلها.

ولا يبعد الغزالي عن ذلك بتقريره في الإحياء، وفي ميزان العمل لأمهات الفضائل الأربعة التي هي جماع كل خير، وهي: الحكمة، والشجاعة، والعفة، والعدالة.

ومنهم من أجمل الحديث أحياناً عن الأخلاق، فعاد بها إلى عدد قليل من أمهات الفضائل، كما فعل ابن القيم في مدارج السالكين، حيث قال: " وحسن الخلق يقوم على أربعة أركان، لا يتصور قيام ساقه إلا عليها: الصبر والعفة والشجاعة والعدل، فالصبر يحمله على الاحتمال وكظم الغيظ وكف الأذى، والحلم والأناة والرفق، وعد الطيش والعجلة، والعفة تحمله على اجتناب الرذائل والقبائح من القول والفعل... "[(٢)].

واتبع بعض المحدثين طريقة أخرى في تقسيم الفضائل، فقالوا: " إن الفضائل إما فضائل شخصية، وإما فضائل اجتماعية، وإما فضائل دينية، فالأولى

---

(١) تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق لابن مسكويه.ص١٧، تحقيق/ابن الخطيب، المطبعة المصرية ط١سنة ١٣٩٨هـ.

(٢) موسوعة أخلاق القرآن. د/ أحمد الشرباصي مقدمة الكتاب.

تشمل: ضبط النفس، والثانية تهذيب النفس، فضبط النفس عن الانهماك في اللذائذ هو العفة، وضبط النفس عن الاسترسال في الألم وشدة الخوف منه وهو الشجاعة، وتهذيب النفس أعني حملها على العمل وفق العقل هو الحكمة، والفضائل الاجتماعية، تشمل العدل وهو أداء الحقوق للناس، والإحسان وهو أداء ما يحتاجون إليه فوق حقوقهم، والفضائل الدينية تشمل ما يلزم الإنسان الاتصاف به لخالقه "(١).

وقد اعترض على هذا التقسيم أيضا بأن الإنسان ومجتمعه ليسا منفصلين فما يؤثر في أحدهما يؤثر في الآخر، وإذا كان كذلك فلا يمكن أن تكون هناك فضائل خالصة، ولا رذائل لا يتأثر بها المجتمع(٢).

ومن هنا يمكن القول: إن الفضائل كلها وحدة واحدة لا يستغنى عنها جميعا، فالفضائل الشخصية هي التي تنظم حياة الفرد، والفضائل الاجتماعية هي التي تجعل الإنسان في توافق مع من حوله من أفراد المجتمع.

فالفضائل الشخصية والفضائل الاجتماعية لا يستغنى عنهما، إذا انعدمت الفضائل الشخصية لا يمكن تحصيل الخير للمجتمع ولا إيصال الحقوق لأصحابها، وإذا انعدمت الفضائل الاجتماعية ساءت أخلاق الفرد ولم يستطع أن يرقي نفسه ترقية تامة، وكون كل من النوعين يتوقف على الآخر لا يخل بالتقسيم. والمهم مما تقدم أن يكيف الإنسان نفسه أخلاقياً؛ ليكون دائما متحلياً بفضائل الأخلاق، وليستجيب لهداية القرآن الكريم مخاطبا له بقوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس: ٧: ١٠].

(١) الأخلاق. د/ أحمد أمين ص١٩٧ وما بعدها بتصرف يسير.

(٢) المرجع السابق ص١٩٨.

وإذا كان من المعروف أن للنفس قوى ثلاث، وهي: قوة العلم، وقوة الشهوة، وقوة الغضب، ومن هذه القوة الثلاث تصدر الأخلاق، فإن هناك من يرى بناء على ذلك أن أمهات الفضائل أربعاً، تنشأ منها من اعتدال كل قوى، وتنشأ العدالة من انسجام هذه القوى بعضها مع بعض حتى لا تبغي واحدة منها على الأخرى،

هذه الفضائل التي هي جماع كل خير، هي: الحكمة، والشجاعة، والعفة، والعدالة، وهي التي منها مجتمعة يكون حسن الخلق في أتم صورة لهذا الحسن الذي ينقص بعض تلك الفضائل،

لذا فقد ذكر الغزالي أن هذه الأصول لم تجتمع، ولم تكتمل إلا في رسول الله صلى الله عليه وسلم، والناس بعد ذلك متفاوتون في التخلق بأخلاقه، وهذا نص الغزالي في ميزان العمل: " فأمهات محاسن هذه الفضائل الأربعة وهي: الحكمة والشجاعة والعفة والعدالة، والباقي فروعها، ولم يبلغ كمال الاعتدال في هذه الأربع إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، والناس بعده متفاوتون في القرب والبعد منه، فكل من قرب منه في هذه الأخلاق فهو قريب من الله تعالى بقدر قربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، هذه الفضائل وسط بين طرفين، هما الإفراط والتفريط، وهذا الوسط هو الاعتدال... "[1].

وهذه الفضائل الخلقية الوارد ذكرها في القرآن الكريم كثيرة، لا نستطيع حصرها والتحدث عنها جميعاً،

لذلك سنختار فيما يلي بعض من تلك الفضائل المهمة لهداية الفرد والمجتمع، وهي: الحكمة، والشجاعة، والعفة، والعدل، **ونبدأ بفضيلة الحكمة:**

---

(١) ميزان العمل. أبو حامد الغزالي. تحقيق. د/ سليمان دنياص٤٧وما بعدها، الناشر/ دار المعارف بمصر ط١سنة١٩٦٤م.

١- فضيلة الحكمة:

وورد معنى كلمة الحكمة في لسان العرب: حكم من حكم، حكمة، وتأتي الحكمة بمعنى العدل، وأحكم الأمر أتقنه، والحكمة هي: "عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم "(١).

وورد معنى الحكمة أيضا في المعجم الفلسفي: بمعنى العلم والتفقه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ ﴾ [لُقْمَان: ١٢] ، والحكمة: أي العدل وهو الكلام الموافق للحق والصواب ووضع الشي في موضعه(٢). ومنها قوله تعالى: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾ [البَقَرَة: ٢٦٩].

وقد ذكر الفخر الرازي في تفسيره للآية: " أما الحكمة بمعنى الصواب فقيل في حدها: إنها التخلق بأخلاق الله بقدر الطاقة البشرية، ومدار هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم:(تخلقوا بأخلاق الله)، واعلم أن الحكمة لا يمكن خروجها عن هذين المعنيين، وذلك لأن كمال الإنسان في شيئين: أن يعرف الحق لذاته، والخير لأجل العمل به"(٣).

فالمرجع الأول: إلى العلم والإدراك المطابق للواقع، **والثاني**: إلى فعل العدل والصواب، ومنها قوله تعالى عن دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الشُّعَرَاء: ٨٣] .

---

(١) لسان العرب لابن منظور. تحقيق/ عبد الله علي الكبير وآخرون.ج٢/٩٥٣، ط/ دار المعارف بمصر سنة١٩٨٠م.

(٢) المعجم الفلسفي د/ جميل صليبا ص٤٩١، الناشر/ دار الكتاب. بيروت. لبنان سنة١٩٨٢م.

(٣) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير. فخر الدين الرازي ج٧/٦٠، الناشر/ دار الكتب العلمية. بيروت سنة١٤٢٥هـ٢٠٠٤م

وعرفها الإمام الغزالي بقوله الحكمة هي: " حال للنفس تدرك بها الحق من الباطل، والصواب من الخطأ، وهي فضيلة القوة العقلية والذهنية، ويتدرج تحت فضيلتها حسن التدبير وجودة الذهن وثقابة الرأي وصواب الظن "[١].

وورد ذكرها أيضا في ميزان العمل إلى: أن الحكمة فضيلة القوة العقلية، وتنقسم الحكمة: إلى حكمة نظرية، وحكمة خلقية، فالحكمة النظرية: خاصة بالعلوم الكلية الضرورية، والنظرية التي تتلقاها النفس من الملأ الأعلى كالعلم بالله تعالى، وصفاته، وملائكته، وكتبه، ورسله، وأصناف خلقية في العالم،

والحكمة الخلقية: حالة وفضيلة للنفس العاقلة بها تسوس القوة الغضبية والشهوية، وتقدر حركاتها بالقدر الواجب في كل الأحوال، وهي العلم بصواب الأفعال[٢].

٢- فضيلة الشجاعة:

الشجاعة من أهم الفضائل الخلقية في الإسلام، بل هي من أعز أخلاق الإسلام؛ لأنها فضيلة من الفضائل التي تبني عليها المجتمعات العادلة القوية، حيث إنها تحمل النفس على التحلي بالفضائل، والتخلي عن الرذائل، فهي غريزة يضعها الله تعالى فيمن شاء من عباده.

والشجاعة هي: مواجهة الألم أو الخطر عند اللزوم في ثبات، وهي فضيلة القوة الغضبية التي إذا انقادت للعقل المتأدب بالشرع في إقدامها وإحجامها، دفاعا عن الوطن أو الدين ونحو ذلك، مما يوجب الحمية، وهي وسط بين التهور والجبن وهما صفتان مذمومتان، وأما الجبن فهو التفريط وعدم الإقدام في مواطن الإقدام،

---

(١) إحياء علوم الدين. للغزالي. ج٣/٦٥

(٢) الأخلاق في الإسلام. د/ محمد يوسف موسى ص١٥٩، مؤسسة الخانجي سنة١٩٦٣م.

وكلاهما رذيلة ينكرها شرع الله تعالى [١].

وهكذا نجد أن الشجاعة ليست مساوية لعدم الخوف كما يتوهم بعض الناس، فهناك أخطار يجب على العاقل أن يخافها إذا اقتضى الأمر ذلك، بل يجب عليه أن يضبط نفسه ويتحمل الخطر بدافع الشعور بالواجب.

إذن الشجاعة الحقيقية لا تقوم في عدم الخوف من شيء، بل تقوم على الخوف والحكمة، والتجرؤ دون تهور [٢].

هذا وقد حث الله تعالى عباده المسلمين وأمرهم بإعلاء تلك الفضيلة بأن أمرهم بالقتال في سبيله وإعلاء كلمة الحق وعدم التخلي عن الضعيف في آيات كثيرة من القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠﴾ [البَقَرَة : ١٩٠] ، وقوله تعالى لعباده المؤمنين وحثهم على الجهاد والثبات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٤٥﴾ [الأَنفَال: ٤٥] .

وكذا حث النبي صلى الله عليه وسلم على إحياء فضيلة الشجاعة وعلى الثبات والإقدام، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " المؤمن القوي خير وأحب إلى الله تعالى من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز..." [٣]. قال النووي في شرح الحديث: " والمراد بالقوة هنا عزيمة النفس والقريحة في أمور الأخرة، فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقداماً عل العدو في الجهاد، وأسرع خروجاً إليه، وذهاباً في طلبه، وأشد عزيمة في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر،

(١) يندرج تحت كل فضيلة من الفضائل مجموعة من الرذائل، فإذا انحرف الإنسان عن الوسط الذي هو فضيلة، وقع لا محالة في الرذيلة، راجع: ميزان العمل للغزالي. ص٥٠.
(٢) مقدمة في علم الأخلاق. د/ محمود حمدي زقزوق ص١٥٥، الناشر/ مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع بالقاهرة ط١ سنة١٤٣٩هـ٢٠١٨م.
(٣) الحديث أخرجه: مسلم في صحيحه برقم (٢٦٦٤)، والراوي: أبو هريرة.

والصبر على الأذى في كل ذلك، واحتمال المشاق في سبيل الله ... "[١].

هذا والتاريخ مملوء بالكثير ممن اتصفوا بفضيلة الشجاعة، فكم من هؤلاء الذين ضحوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل قول الحق ونصرته، وصبروا على الآلام، والرزايا التي نزلت عليهم؛ لأنهم يحبون الحق أكثر مما يحبون أنفسهم، ومنهم الأنبياء، والمرسلين، والشهداء، والعلماء.

٣- فضيلة العفة:

تناول علماء الأخلاق فضيلة العفة بالبحث والنظر، وكان أول ما بحثوه منها التعريف لها، وقد ركز علماء اللغة في تعريفها على أن معناها: الحبس أو الكف، فيكون معناها حبس النفس أو كفها عما لا يليق.

وعرفت العفة عند ابن منظور: " العفة هي: الكف عما لا يحل ولا يجمل"[٢].

والعفة هي: انقياد القوة الشهوية بسهولة ويسر، بحيث يكون إنقباضها وإنبساطها بحسب العقل والشرع، وبذلك يكون المرء حراً غير مستعبد لشهواته[٣].

ويقول ابن مسكويه في تعريفه لفضيلة العفة: " وأما العفة فهي وسط بين رذيلتين، وهما الشره، وخمود الشهوة، وأعني بالشهوة الانهماك في اللذات والخروج فيها عما ينبغي، وأعني بخمود الشهوة السكون عن الحركة التي تسلك نحو اللذة الجميلة التي يحتاج إليها البدن في ضروراته، وهي ما ترخص فيه الشريعة والعقل"[٤].

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي. ج٤/٢٠٥٢، مؤسسة قرطبة ط٢سنة١٤١٤هـ١٩٩٤م.

(٢) لسان العرب لابن منظور. مادة عف ج٤/٣٠١٥، ط/ دار المعارف بمصر.

(٣) ميزان العمل للغزالي. ص٤٩.

(٤) تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق لابن مسكويه.ص٢٨.

يلاحظ من التعريفات السابقة أن جميعها يركز على السلوك في اتباع الشهوات، وتلبية دواعيها، ورأوا أنه يكفي لتحقيق خلق العفة أن يكون السلوك في إشباع الشهوة واقعا بين طرفين كلاهما رذيلة.

وأفضل الطرق في الحياة أن يتمتع الإنسان بالملذات الطيبة في حدود الأخلاق الفاضلة غير متجاوز في ذلك الحدود المشروعة، وذلك كما ورد في قول الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ﴾ [الأَعْرَاف: ٣٢].

فالعفة إذن ليست القضاء على الشهوات والرغبات، وإنما الاعتلاء بها وتهذيبها، وفرض رقابة العقل عليها(١).

هذا وقد وردت كلمة العفة في أكثر من موضع في القرآن الكريم، منها قوله تعالى:﴿ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ ﴾ [البَقَرَة : ٢٧٣] ،وقوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْۖ ﴿٦﴾﴾ [النِّسَاء : ٦]،

وقوله تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا ﴾ [النُّور : ٣٣]، وقوله تعالى: ﴿ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾ [النُّور : ٦٠]، ولقد جاء في سنة رسول الله صلي الله عليه وسلم قوله:((من يستعفف يعفه الله)) (٢)، أي من طلب العفة أعطاه الله تعالى إياها.

وإذا كانت العفة خلقاً من أخلاق القرآن الكريم، وصفة من صفات المؤمنين، فكان الأفضل لأتباع أمة محمد صلى الله عليه وسلم أن يتحلوا بها؛ ليكونوا صادقين مقتدين في اتباعهم لرسولنا الكريم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي كان خلقه القرآن.

---

(١) الأخلاق. أحمد أمين ص٢١٥.

(٢) الحديث أخرجه: البخاري في صحيحه برقم (١٤٦٩)، والراوي: أبو سعيد الخدري.

وأولى الناس بالعفة والحرص على التحلي بفضيلتها إنما هم العلماء؛ لأنهم ورثة الأنبياء، وقدوة للناس في الدنيا وأئمة الهدى، أقوالهم مأثورة وأفعالهم منظورة وزلتهم من أكبر الجرائم.

٤- فضيلة العدل:

ويرتبط بحق المساواة حق آخر وهو العدل، والعدل هو أحد الفروع الخلقية لحب الحق وإيثاره، وأحكام العدل وتطبيقاته إنما هي تنفيذ لما يقتضيه الحق، ومعظم المعاملات المادية وغير المادية بين الناس لها من الحق أصول ثابتة، وحين يتم التقيد بما في هذه الأصول من حق بالعمل أو القول أو الحكم أو وضع القوانين فذلك هو العدل.

وقد أمر الله تعالى بالحث على العدل والقسط في آيات متعددة من القرآن الكريم لأهمية تلك الفضيلة، وأمر رسله جميعاً بالبينات، وأنزل معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط.

ومن الآيات القرآنية الواردة بالعدل والقسط، منها قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [المَائِـدَة : ٨]،

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النَّحل : ٩٠]،

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾ [الحَدِيد : ٢٥].

ومن روائع ما يروى في هذا قول الرسول صلى الله عليه وسلم لأسامة بن زيد عندما ذهب ليشفع في المرأة المخزومية التي سرقت:

"والذي نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها" [١].

وكان صلى الله عليه وسلم ينهى كذلك عن مصادرة حق الفرد في الدفاع عن نفسه تحرياً للعدالة، فيقول: (... فإن لصاحب الحق مقالا...) [٢].

ومن هنا نجد أن القرآن الكريم يطلب منا أن ننظر إلى العدل على أنه أمر يعلو على التحزب، فالله إلهنا جميعا، فإذن العدل مطلوب لكل الناس دون استثناء، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾. [المَائِدَة: ٨]

والإسلام يذكرنا بمطلق العدل ويحثنا على الوقوف بجانبه في كل مكان، وليس فقط من أجل تحقيق أهداف خاصة، فالعدوان في المفهوم الإسلامي ليس فقط هو العدوان على حقوق الغير، بل يشمل عدوان الإنسان على ما يقترفه في حق نفسه، فالآخرون في حاجة إلى العدل،

كما أن الإنسان في حاجة إليه، ومن لم يعدل مع الآخرين لا يجوز له أن ينتظر منهم أن يعدلوا معه[٣].

إذن لعظم ولأهمية تلك الفضيلة نجد أن الله تعالى أمرنا بها، وكذا حث عليها الأنبياء جميعا؛ وذلك لأن فضيلة العدل خلقاً ثابتاً من أخلاق المؤمنين التي يجب أن يتحلوا بها، بالإضافة إلى أن إشارة القرآن الكريم إلى قيام الناس بالقسط كان من الأهداف الرئيسية لإرسال الرسل.

---

(١) الحديث أخرجه: البخاري في صحيحه كتاب الأنبياء برقم (٨٨٢٣)، ومسلم في كتاب الحدود، باب قطع السارق برقم (٨٨٦١).

(٢) الحديث أخرجه: البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، كتاب الوكالة برقم (٣٨١٢)، ومسلم: كتاب المساقاة برقم (١٠٦١).

(٣) الإسلام وقضايا الحوار. د/ محمود حمدي زقزوق ص١٧١ وما بعدها. ترجمة. د/ مصطفى ماهر، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة سنة ١٤٢٣هـ٢٠٠٢م

ومن هنا يتبين لنا أيضا أن الشريعة الإسلامية حين قررت أحكامها في العلاقات المادية والأدبية وغير ذلك، راعت فيها أن تسود الفضائل الأخلاقية بين الناس جميعا، فهي نظام بوصفها أحكاماً منظمة، وهي عند تطبيق الأفراد قد تكون ظواهر سلوكية فاضلة تكون متمكنة في نفوسهم.

ونحن في عالمنا المعاصر ندرك أهمية تلك الفضيلة، وأهمية تطبيقها، أما لماذا لا يتحقق العدل في حياتنا؟،

فنجد جواب ذلك في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ [النِّسَاء: ٧٥].

فالحكمة فضيلة العقل، والشجاعة فضيلة القوى الغضبية، والعفة فضيلة القوة الشهوانية، والعدالة هي الفضيلة الجامعة بين هذه الفضائل.

المبحث الخامس: أثر الفضائل الخلقية
في هداية الفرد والمجتمع

أهمية الأخـلاق في حياة المجتمع:

للأخلاق أهمية بالغة في حياة المجتمع، فهي الدعامة الأولى لبناء المجتمع المتماسك، وصلاح أي مجتمع أو فساده مرتبط بصلاح الأخلاق أو فسادها.

ولا يستطيع أي مجتمع من المجتمعات أن يعيش أفراده متفاهمين، وسعداء ما لم ترتبط بينهم روابط متينة من الأخلاق الكريمة، فمكارم الأخلاق ضرورة اجتماعية، ومتى فقدت الفضائل الخلقية بين المجتمع، تفكك أفراده وتصارعوا وتناهبوا، ثم أدى بهم ذلك إلى الانهيار والدمار، وقد شهد التاريخ أن هلاك الأمم السابقة إنما كان مرجعه فقدان العنصر الأخلاقي، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المعنى، **قَالَ تَعَـالَىٰ:** ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَـٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾[الإِسْرَاء: ١٦]

ومن يقرأ السنة النبوية المطهرة ويطلع على أخلاق رسولنا الكريم، فإنه سيجد أن جميع أخلاقه صلى الله عليه وسلم من هدي القرآن الكريم،

فقد كان صلى الله عليه وسلم أعظم نموذج أخلاقي يحتذى به، سواء قبل البعثة أو بعدها، وقد وصفه الله تعالى في كتابه الكريم بقوله **تَعَـالَىٰ:** ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾[القَلَم: ٤]

وتظهر الأهمية البالغة للفضائل الخلقية في تأثيرها على سلوك الإنسان، وما يصدر عنه، فأفعال الإنسان موصولة دائما بما في نفسه صلة فروع الشجرة بأصولها المغيبة في التراب، ومعنى ذلك أن إصلاح أفعال الإنسان تكون بصلاح أخلاقه؛ لأن الفرع بأصله إذا صلح الأصل صلح الفرع، وإذا فسد الأصل فسد الفرع [1].

(١) منهج القرآن في إصلاح المجتمع د/ محمد السيد يوسف.ص١٩٤، ط دار السلام للطباعة والنشر سنة ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م.

ولهذا كانت الأخلاق هي النهج السديد في إصلاح الناس وتقويم سلوكهم، وغرس معاني الأخلاق الحميدة فيهم؛ حتى يستطيعوا أن يصلوا إلى الكمال الإنساني التام في تحقيق السعادة في الحياة الآخرة، وهي منال المسلم في الوصول إلى الخالق ومشاهدة الأنوار الإلهية، ولا يكون ذلك إلا بالأخلاق الحسنة ومجاهدة النفس وكبح جماح الشهوات(١).

ولا ريب أن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو المثل الأعلى في اكتساب الفضائل الخلقية، حيث اكتسابها من القرآن الكريم، يقول الله تبارك وتعالى عن كونه القدوة المطلوب السير على أثرها وتحقيق صورتها، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأَحْزَاب: ٢١]، ويقول عن اتصافه بأكمل الصفات: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القَلَم: ٤]

ويجمع سيدنا ورسولنا وقدوتنا محمد صلى الله عليه وسلم، بوصفه أكمل صورة خلقية على جميع الاتجاهات والنواحي الخلقية، لمن يريد أن يصبح مثلا أعلى، على جهة معينة من هذا المثل، كالعلم، والصبر، والحكمة، والرحمة، وغير ذلك الكثير من فضائله الخلقية القرآنية التي لا تكاد أن تحصى. لذا كان الإسلام في تنظيمه الأخلاقي جامعاً بين الروحية والمادية، فهو يهتم بالروح ومتطلباتها، وكذلك يهتم بالجانب المادي الذي هو قوام الإنسان وحياته.

فوائد المحافظة على الفضائل الخلقية:

١- سعادة النفس ورضاء الضمير، فكم من إنسان فرج عن مكروب أو معسر، أو نصر مظلوماً، شعر بعدها بسعادة غامرة إزاء ذلك.

(١) في العقيدة الإسلامية والأخلاق. د/ محيي الدين الصافي وآخرون.ص١٩٩، ط بمطبعة الأزهر بالقاهرة سنة ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.

٢- ترفع شأن صاحبها، فيلجأ إليه الجميع، ومن يلجأ إليه الناس في قضاء حوائجهم هو من فضل الله تعالى على صاحبه، وقد قال الله تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾ [المُلْك: ٢٢].

٣- نشر روح الألفة والمحبة بين جميع أفراد المجتمع؛ لأن كل فرد من أفراد المجتمع يجب أن يقوم بواجبه نحو الآخرين، وكل فرد فيه يشعر باهتمام الاخرين به، يشعر بالتكامل وعدم التناحر، حيث يجد الجميع أن كل فرد يحب لأخيه ما يحبه لنفسه، مصداقاً لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:((مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)[١].

لذا تكمن أهمية التمسك بالفضائل الخلقية التي نادى بها الهدي القرآني، لما لها مكانة عالية فهي الغاية العظمى التي جاء من أجلها الإسلام لسعادة الفرد والمجتمع.

(١) في العقيدة الإسلامية والأخلاق. د/ محيي الدين الصافي وآخرون.ص١٩٩.

خاتمة

النتائج:

١. تبين مدى أهمية الفضائل الخلقية في القرآن الكريم، ومما لا شك فيه أن واقعنا المعاصر في أمس الحاجة للتمسك بتلك الفضائل، فهي ضرورة لحياة الإنسان في الدنيا والأخرة.

٢. دراسة الفضائل الخلقية أو علم الأخلاق بصفة عامة له أهمية كبيرة، تكمن أهميته في ترشيد السلوك الإنساني، والسلوك الإنساني يقوم على النواحي النظرية والعملية، والأخلاق هي المعيار الذي يقوم بضبط وإصلاح سلوك الفرد والمجتمع.

٣. الفضيلة هي معيار تقدم الأمم والشعوب، وأساس الحكم علي رقي تلك الشعوب ونهضتها، فإذا انتشرت الفضيلة وظهر إيثار الخير والأخلاق الفاضلة في أمة، استطاعت تلك الأمة بناء ذاتها وتقدمت، أما إذا سادت الرذيلة والأخلاق السيئة في أمة، أدى ذلك إلى تدميرها وضعفها.

٤. أهمية التمسك بالفضائل الخلقية التي نادى بها الهدي القرآني، لما لها من مكانة عالية، فهي الغاية العظمى التي جاء من أجلها الإسلام لسعادة الفرد والمجتمع، والفضائل الخلقية الوارد ذكرها في القرآن الكريم كثيرة، لا نستطيع حصرها والتحدث عنها جميعا، لذا تم توضيح نماذج من تلك الفضائل.

التوصيات:

١- لا شك أن الإسلام وما اشتمل عليه فضائل خلقية هو الحل لأمثل لهداية الفرد والمجتمع، لذا يجب دراسة الفضائل الخلقية في القرآن الكريم لما له من

فوائد عظيمة في ترشيد السلوك الإنساني، ولما له من الأثر الكبير في توجيه أفراد المجتمع نحو القيم الخلقية والمثل العليا على أساس من الفهم والإدراك.

٢-العمل على ترسيخ الأخلاق الفاضلة في المجتمع، بدءاً من تربية الأطفال وهم صغار ـ حيث إنهم اللبنة الأساسية في المجتمع. وتنشئتهم على المنهج القرآني، فإن المسلم إذا نشأ منذ صغره متبعاً لكتاب الله تعالى كان لذلك أعظم الأثر في أقواله وأفعاله، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩﴾ [الإسْرَاء: ٩]

وأيضاً الاهتمام بغرس الفضائل الخلقية والتربية الإسلامية في المدارس والجامعات وكافة المؤسسات التربوية والاجتماعية، وحث الجميع على أداء واجباته المكلف بها نحو ربه ودينه ونفسه وعمله ومجتمعه.

ثبت بأهم المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: مصادر ومراجع أخرى:

١. إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين. للزبيدي، ط دار الكتب العلمية بيروت. لبنان ط١ سنة ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.

٢. إحياء علوم الدين. أبو حامد الغزالي، الناشر/ دار زاهد القدسي. بدون.

٣. الأخلاق. أحمد أمين، الناشر/ دار الكتاب العربي بيروت. لبنان.

٤. الأخلاق والسير في مداواة النفوس لابن حزم الأندلسي، الناشر/ دار الآفاق الجديدة. بيروت ط٢ سنة١٣٩٩هـ١٩٧٩م.

٥. الإسلام وقضايا الحوار. د/ محمود حمدي زقزوق. ترجمة. د/ مصطفى ماهر، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة سنة ١٤٢٣هـ٢٠٠٢م

٦. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز. الفيروز آبادي. الناشر/ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. لجنة إحياء التراث الإسلامي بالقاهرة. بدون

٧. تأملات في فلسفة الأخلاق. منصور علي رجب، مطبعة مخيمر بالقاهرة ط١ سنة ١٩٥٣م.

٨. التعريفات. للجرجاني، تحقيق/ محمد صديق المنشاوي، الناشر/ دار الفضيلة. بدون.

٩. تفسير البغوي، الناشر/ دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط١ سنة ١٤١٤هـ. ١٩٩٣م.

١٠. تفسير الفخر الرازي. الشيخ/ خليل محيي الدين الميسي، الناشر/ دار الفكر العربي. بيروت. لبنان سنة ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

١١. تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق لابن مسكويه. تحقيق/ابن الخطيب، المطبعة المصرية ط١سنة ١٣٩٨هـ.

١٢. دستور الأخلاق في القرآن. د/ محمد عبد الله دراز. تحقيق. د/ عبد الصبور شاهين، الناشر/ مؤسسة الرسالة. بيروت. لبنان ط سنة١٩٧٧م.

١٣. روح المعاني للألوسي. تعليق/ محمد أحمد الأمد، عمر عبد السلام السلامي، الناشر/ دار إحياء التراث العربي. بيروت. لبنان ط١ سنة١٤٢١هـ٢٠٠٠م.

١٤. شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار أحمد. تحقيق. د/ عبد الكريم عثمان، الناشر/ مكتبة وهبة ط١سنة١٣٨٤هـ١٩٦٥م.

١٥. شرح المواقف. عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجى. تحقيق. د/ عبد الرحمن عميرة، الناشر/ دار الجيل. بيروت. ط١ سنة ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.

١٦. شرح صحيح مسلم للنووي، مؤسسة قرطبة ط٢سنة١٤١٤هـ١٩٩٤م.

١٧. فلسفة الأخلاق في الإسلام. محمد جواد مغنية، الناشر/دار العلم. بيروت سنة١٩٧٧م.

١٨. في العقيدة الإسلامية والأخلاق. د/ محيي الدين الصافي وآخرون، ط بمطبعة الأزهر بالقاهرة سنة ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.

١٩. القاموس المحيط. مجد الدين الفيروز آبادي. ط/ دار المعارف سنة١٣٥٧هـ.

٢٠. لسان العرب لابن منظور. تحقيق/ عبد الله علي الكبير وآخرون. ج٢/٩٥٣، ط/ دار المعارف سنة١٩٨٠م، ط/ دار صادر بيروت.

٢١. مباحث في فلسفة الأخلاق. د/ محمد يوسف موسى، كلية أصول دين بالقاهرة، مطبعة الأزهر سنة١٩٤٣م.

المجمل في تاريخ علم الأخلاق: سدجويك. ترجمة وتعليق/ توفيق الطويل، وعبد الحميد حمدي، الناشر/ دار الثقافة للنشر بالإسكندرية سنة١٩٤٩م.

٢٢. المعجم الفلسفي. د/ جميل صليبا، الناشر/ دار الكتاب. بيروت. لبنان سنة١٩٨٢م.

٢٣. المعجم الوجيز، الناشر/ مجمع اللغة العربية سنة١٩٨٩م.

٢٤. العقيدة والأخلاق وأثرهما في حياة الفرد والمجتمع. د/ محمد بيصار، الناشر/ دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر ط١ سنة١٩٧٣.

٢٥. مقدمة في علم الأخلاق. د/ محمود حمدي زقزوق، الناشر/ مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع بالقاهرة ط١ سنة١٤٣٩هـ٢٠١٨م.

٢٦. منهج القرآن في إصلاح المجتمع د/ محمد السيد يوسف، ط دار السلام للطباعة والنشر سنة ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م.

٢٧. موسوعة أخلاق القرآن. د/ أحمد الشرباصي، الناشر/ دار الرائد العربي. بيروت. لبنان ط١ سنة١٤٠١هـ ١٩٨١ م.

٢٨. ميزان العمل. أبو حامد الغزالي. تحقيق. د/ سليمان دنيا، الناشر/ دار المعارف بمصر ط١سنة١٩٦٤م.

٢٩. الأخلاق في الإسلام. د/ محمد يوسف موسى، مؤسسة الخانجي سنة١٩٦٣م.

ثبت المـــوضـــوعـات

الموضـــــوع	رقم الصفحة
مقدمة.	٣
المبحث الأول: التعريف بالمصطلحات وفائدة دراسة الفضائل الخلقية.	٧
المبحث الثاني: أقسـام علـم الأخـلاق.	١٤
المبحث الثالث: الفضائل الخلقية بين الاختلاف والشمول.	١٩
المبحث الرابع: أقسام الفضائل الخلقية ونماذج منها	٢٣
المبحث الخامس: أثر الفضائل الخلقية في هداية الفرد والمجتمع.	٣٥
الخاتمة.	٣٨
ثبت المصادر والمراجع.	٤٠
ثبت الموضوعات.	٤٣